باستيل

بعض أشياء مبعثرة، أوراق وأقلام وسماعة أذن، انقطع عنها الصوت، فتوسدّتُ الطاولة صامتة كالموت، وأسئلة مشعّثة تعبث بعقلي الأجوف، البعض يأكل الشكولاتة، والبعض تأكله الشكولاتة فأيّهما أنت؟ لم تعدْ هناك حقيقة مؤكّدة، فهل المؤكّد ما نراه، أو ما يحدث فعلاً؟

الباب الذي تحرك منذ قليل تحرّك فعلاً.. ليست تخيّلات.. هي حقائق نتجاهلها دون وعي منّا، لكي نستطيع أن نحيا.

ويلٌ لأصحاب العقول الرحبة من أصحاب العقول الضيقة، أصحاب العقول الرحبة تتسع غرف عقولهم للتصنيف والتخصّص، وتكدّس المعلومات والأحداث، وأصحاب العقول الضيّقة عقولهم لا تحتوي إلّا على غرفة واحدة، تتبني نظرة واحدة، المسافة بين هذين الفريقين تقدر بآلاف السنوات الضوئية.

هكذا أخبرتهم ولكنّهم لم ينصتوا لي، في بقعة الضوء تنكشف ألاعيب الحواة كلّها، الحواة فقراء من أيام موسى وحتّى الآن، لذا ضلوا مع فرعون ولذا أيضا آمنوا مع موسى.

كنت أحد الحواة هذا ما أتذكره، يقولون عني: مجنون تاه عقله وضلّ، وهم يرفلون في الضلال دون أمل في التغيير أو

الهـروب، فكّـرت أن أهـرب وأبصـق أفـكاري في وجـه العـالم، لعلّـه يسـتفيق، أتذكّـر أنّـني فعلـت ذلـك مـرة، هربـت مـن مـكان اسمـه كاسـم حشـرة سـامة يذكّرنـي بكلمـة «باسـتيل»، وبعدهـا رأيـت مـا يعجـز عـن وصفـه فكـري ولسـاني، كنـت إنسـانا ثـم حيوانـا ثـم تحوّلـت لحشـرة تركلهـا الأقـدام وتقوقعـت في شـرنقة نسـجتها مـن جلـدي وعظامـي، مـتّ ثـمّ بعثـت فراشـة تكشـفت أمامهـا الحجـب، وعندمـا أخبرتهـم بالحقائـق أحضرونـي إلى هنـا.

صريـر بـاب... ممـرض ضخـم الجثـة يقـول بصـوت غليـظ: «قدامـي ميعـاد الجلسـة».